

الرَّسَالَةُ ١٥٨

الطَّرِيقُ الْوَّاحِدُ

(Arabic - The only Way)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: الطَّرِيقُ الْوَّاحِدُ

ومنَ سِفرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ نَقْرَأُ الْعَدَدَ الرَّابِعَ عَشَرَ:

" قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ أَتِنَاءَ مُحَاكَمَتِهِ أَمَامَ فِيلِكْسَ الْوَالِي: وَلَكِنِّي أَقْرُ لَكَ بِهَذَا. أَنِّي حَسَبَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَقُولُونَ لَهُ شَيْعَةً. هَكَذَا أَعْبُدُ إِلَهَ آبَائِي. مُؤْمِنًا بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ".^١

كَانَتِ الْمَسِيحِيَّةُ فِي بَدْءِ نَشْأَتِهَا مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ الطَّرِيقِ. وَأُطْلِقَ النَّاسُ عَلَى اتِّبَاعِ الطَّرِيقِ اسْمَ " الْمَسِيحِيِّونَ " وَعَرَفَ الْمَسِيحِيُّونَ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ بِاسْمِ الْكَنِيسَةِ. وَأَدَاةُ التَّعْرِيفِ "ال" كَانَتْ تَكْفِي لِتَمْيِيزِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ عَنِّ غَيْرِهِ مِنَ الطَّرِيقِ وَالذِّيَّانَاتِ الْأُخْرَى. وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِضَافَةِ أَىِّ وَصْفٍ آخَرَ لِأَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَّاحِدُ لِمَعْرِفَةِ إِلَهِهِ الْوَّاحِدِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ عَنِّ نَفْسِهِ: " أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ ". وَلَا يَلْزَمُ الْبَشَرَ كَيْ يَعْرِفُوا إِلَهَهُ الْمَعْرِفَةَ الْحَقِيقِيَّةَ إِلَّا مَعْرِفَةَ شَخْصِ ابْنِ اللَّهِ رَبَّنَا يَسُوعَ الَّذِي هُوَ: الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.^٢

وَلَقَدْ اتَّخَذَ الْبَشَرُ ثَلَاثَةَ مَوَاقِفَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ. وَهَذِهِ الْمَوَاقِفُ الثَّلَاثَةُ تَمَيَّزَتْ ثَلَاثَ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ. وَيَسْجَلُ سِفرُ أَعْمَالِ الرَّسُلِ قِصَصًا لِأَشْخَاصٍ مِنْ تِلْكَ الطَّوَائِفِ نَخْتَارُ مِنْهَا ثَلَاثَةً لِلتَّأَمُّلِ:

أولاً: الَّذِينَ لَهُمْ قُلُوبٌ مُمَهَّدَةٌ لِاسْتِقْبَالِ رِسَالَةِ الْخَلَاصِ بِالْإِيمَانِ.. وَكَرْنِيلْيُوسَ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ. كَانَ قَائِدَ مَائَةٍ مِنَ كَتَيْبَةِ تَدْعَى الْأَيْطَالِيَّةِ. كَانَ تَقِيًّا وَخَائِفَ اللَّهِ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ. يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ وَيُصَلِّي إِلَى اللَّهِ كُلَّ حِينٍ. فَرَأَى ظَاهِرًا فِي رُؤْيَا مَلَكَ مِنْ اللَّهِ دَاخِلًا إِلَيْهِ وَقَائِلًا لَهُ يَا كَرْنِيلْيُوسَ فَلَمَّا شَخَّصَ إِلَيْهِ وَدَخَلَهُ الْخَوْفُ قَالَ مَاذَا يَا سَيِّدِي؟. فَقَالَ لَهُ. " صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعَدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ اللَّهِ. وَالآنَ ارْسُلْ إِلَى يَافَا رِجَالًا وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمَلْقَبَ بُطْرُسَ. إِنَّهُ نَازِلٌ عِنْدَ سِمْعَانَ رَجُلِ دَبَاغِ بَيْتِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ. هُوَ يَقُولُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ ". وَسَرَدَ بُطْرُسُ الرَّسُولَ اخْتِبَارَهُ أَمَامَ بَاقِي الرَّسُلِ قَائِلًا: أَنَا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ يَافَا أَصْلَى فَرَأَيْتُ فِي غَيْبَةٍ رُؤْيَا. ثُمَّ أَوْضَحَ الرُّؤْيَا ثُمَّ قَالَ: وَإِذَا ثَلَاثَةٌ رَجَالٍ قَدَّ وَقَفُوا لِلْوَقْتِ عِنْدَ الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مُرْسَلِينَ إِلَيَّ مِنْ قَيْصَرِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ كَرْنِيلْيُوسَ.

قَالَ الرُّوحُ لِطُرْسَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ. وَذَهَبَ مَعَهُ أَيْضًا إِخْوَةٌ سِتَّةٌ. فَدَخَلُوا بَيْتَ كَرْنِيلْيُوسَ فَأَخْبَرَهُمْ كَرْنِيلْيُوسَ كَيْفَ رَأَى الْمَلَكَ فِي بَيْتِهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِاسْتَدْعَاءِ بُطْرُسَ " وَهُوَ يُكَلِّمُكَ كَلَامًا بِهِ تَخْلُصُ أَنْتَ وَكُلُّ بَيْتِكَ ". وَكَلِمَةُ بُطْرُسَ بِرِسَالَةِ الْخَلَاصِ بِالْإِيمَانِ. فَنَالَ كَرْنِيلْيُوسَ الْخَلَاصَ وَكُلُّ بَيْتِهِ. لَقَدْ كَانَ قَلْبُهُ مُمَهَّدًا لِاسْتِقْبَالِ رِسَالَةِ الْحَيَاةِ. مِنَ الْخَطَا الْإِعْتِقَادُ أَنَّ صَنْعَ الْحَسَنَاتِ هُوَ الَّذِي يَمْنَحُ خَلَاصًا. إِنَّ الطَّرِيقَ الْوَّاحِدَ لِلْخَلَاصِ هُوَ شَخْصُ الرَّبِّ. الَّذِي أَكْمَلَ خَلَاصَنَا عَلَى الصَّلِيبِ. يَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي أَفْسَسَ: " لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخْلِصُونَ بِالْإِيمَانِ. وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ ".^٣

ثانيًا: الَّذِينَ يُقَاوِمُونَ الطَّرِيقَ فِي بَادِي الْأَمْرِ.. وَسَأُولُ الطَّرْسُوسِيِّ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ. أَوْلَيْكَ يَدْفَعُهُمُ الْجَهْلُ فِي بَادِي الْأَمْرِ لِمُقَاوَمَةِ الطَّرِيقِ. وَلَكِنْ مَتَى فَتَحُوا قُلُوبَهُمْ وَاسْتَقْبَلُوا النُّورَ تَوَلَدَتْ فِي قُلُوبِهِمْ أَشْوَاقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ. إِنَّهُمْ ضَحَايَا التَّعَصُّبِ الْأَعْمَى الَّذِي يَضَعُ غِشَاوَةً عَلَى عَيْونِهِمْ تَحْجُبُ عَنْهُمْ نُورَ الْحَقِّ. فَيَنْفَادُونَ إِلَى مَسْوَرَةٍ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ. كَانَ سَأُولُ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ. يَنْفِثُ تَهْدِيدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ. لَقَدْ تَقَدَّمَ سَأُولُ إِلَى رَيْسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رِسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ. حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَسًا مِنَ الطَّرِيقِ رِجَالًا وَنِسَاءً

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر أعمال الرسل ١٤: ٢٤ ،

^٢ سفر أعمال الرسل ٩: ٢ & ١٩: ٩ & ٢٣: ١٩ & ٢٢: ٤ & ١٤: ٢٤ & ٢٢: ٢٢ ، إنجيل يوحنا ٨: ١٩ & ١٤: ٦ - ٩

^٣ سفر أعمال الرسل ١٠: ١ & ٣٣ - ١ : ١١ & ١٨ - ١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨

يَسُوقُهُمْ مُوتَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ عَلَى الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ بِتَسْلِيمِ قَلْبِهِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ. قَالَ عَنْ نَفْسِهِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى تَلْمِيذِهِ تِيمُوثَاوَسَ: "أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهَدًا وَمَقْتَرِيًّا. وَلَكِنِّي رُحِمْتُ. لِأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ. وَتَفَاضَلْتُ نِعْمَةً رَبِّنَا جِدًّا مَعَ الْإِيمَانِ. وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قَبُولٍ. أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا".^١

يَسْرُدُ بُولُسُ الرَّسُولُ قِصَّةَ اخْتِبَارِهِ لِلْيَهُودِ الْمُحْتَجِّينَ عَلَيْهِ فِي أُورُشَلِيمَ بِقَوْلِهِ: "أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِخْوَةَ وَالْآبَاءُ. أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ. وُلِدْتُ فِي طَرَسُوسَ. وَلَكِن رُبِّيتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ رَجُلٍ عَمَلًا ثَبِيلٌ مُعَلِّمٌ الشَّرِيعَةَ. وَكُنْتُ غَيْرًا لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعَكُمْ الْيَوْمَ. وَاضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ. مُقَيِّدًا وَمُسْلِمًا إِلَى السَّجُونِ رَجَالًا وَنِسَاءً. كَمَا يَسْهَدُ لِي أَيْضًا رَتِيسُ الْكَهَنَةِ. وَجَمِيعُ الْمَسِيخَةِ الَّذِينَ أَخَذْتُ أَيْضًا مِنْهُمْ رِسَائِلَ لِلْإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ. ذَهَبْتُ لِأَتِي بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيِّدِينَ لِكَيْ يُعَاقِبُوا. فَحَدَّثْتُ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمَتَعَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ. أَنَّهُ نَحْوُ نِصْفِ النَّهَارِ بَعَثَ أُبْرُقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ. فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلًا لِي: شَاوُلُ شَاوُلُ. لِمَاذَا تَضْطَهَدُنِي؟! فَاجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ! فَقَالَ لِي: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهَدُهُ!. وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتِ الَّذِي كَلَّمَنِي. فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبَّ؟! فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ!. وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ. وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرْتَبِّبُ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ".^٢

إِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ رَتَّبَ لِشَاوُلَ الطَّرَسُوسِيِّ مَا كَانَ يَفْعَلُ سَابِقًا. وَلَكِن بَعْدَ الْإِيمَانِ أَصْبَحَ يَفْعَلُ مَا تَرْتَبِّبُ لَهُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. مَكْتُوبٌ: "لَأَنْتُمْ نَحْنُ عَمَلُهُ. مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَاعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلِكَ فِيهَا". فَلَمَّا أَنَّ الطَّائِفَةَ الْأُولَى هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ الْقُلُوبُ الْمُمَهَّدَةَ لِاسْتِقْبَالِ نُورِ الْإِيمَانِ. وَأَنَّ الطَّائِفَةَ الثَّانِيَةَ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْفَعُهُمُ الْجَهْلُ لِمُقَاوَمَةِ الطَّرِيقِ. وَلَكِن مَتَى اسْتَنَارُوا انْفَتَحَتْ قُلُوبُهُمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَتَلَّوْا الْحَيَاةَ.^٣

ثَالِثًا: الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ مُوصَدَةٌ مُنْغَلِقَةٌ. لِأَنَّهُمْ أَحَبُّوا الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ.. وَدِيمِتْرِيُوسُ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ. "أَحَبَّ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شَرِيرَةً. هُوَ لَمْ يَبْغِضُوا النُّورَ وَلَا يَأْتُونَ إِلَيْهِ لِئَلَّا تُوْبَّخَ أَعْمَالُهُمْ". كَمَا يَقُولُ الْكِتَابُ عَنْهُمْ. إِنَّ نِيَّارَ مَحَبَّةِ الْمَكَاسِبِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَلَذَاتِ الْعَالَمِيَّةِ. جَرَفَهُمْ إِلَى مُسْتَنْقَعِ الْهَلَاكِ. كَانَ دِيمِتْرِيُوسُ صَانِعًا صَانِعَ هَيَاكِلِ فِضَّةِ لِأَرْطَامِيسَ. كَانَ يُكْسِبُ الصَّنَاعَ مَكْسَبًا لَيْسَ بِقَلِيلٍ. فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجَالُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ سَبْعَتَنَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَتَسْمَعُونَ أَنَّ لَيْسَ مِنْ أَفْسَسَ فَقَطْ بَلْ مِنْ جَمِيعِ أَسِيَّا تَقْرِيْبًا اسْتَمَالَ وَأَزَاغَ بُولُسُ هَذَا جَمْعًا كَثِيرًا قَائِلًا: إِنَّ الَّتِي تَصْنَعُ بِالْأَيْدِي لَيْسَتْ إِلَهَةً. وَأَشَارَ إِلَى الصَّنَاعِ أَنَّهُمْ فِي خَطَرٍ وَأَنَّ أَقْوَالَ بُولُسِ إِهَانَةٌ لِهَيْكَلِ أَرْطَامِيسِ الْإِلَهَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا جَمِيعُ أَسِيَّا وَالْمَسْكُونَةِ.^٤

لَمَّا سَمِعَ الصَّنَاعُ كَلِمَاتِ الْإِثَارَةِ الَّتِي أَثَارَهُمْ بِهَا دِيمِتْرِيُوسُ. امْتَلَأُوا غَضَبًا وَامْتَلَأَتْ الْمَدِينَةُ اضْطِرَابًا. وَانْدَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَطَفُوا رَجُلَيْنِ هُمَا رَفِيقَا بُولُسِ فِي السَّفَرِ. وَلَمَّا أَرَادَ بُولُسُ أَنْ يَدْخَلَ بَيْنَ الشَّعْبِ لَمْ يَدْعُهُ التَّلَامِيذُ. وَلَكِن رَجُلًا يُدْعَى إِسْكَندَرُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُسَكِّنَ الْجَمْعَ النَّائِرَ عَلَى بُولُسِ. إِنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَغْلَقَتْ أَحْشَاءَ دِيمِتْرِيُوسَ وَحَجَّرَتْ قَلْبَهُ. وَقَوْلُ بُولُسِ أَنَّ الَّتِي تَصْنَعُ بِالْأَيْدِي لَيْسَتْ إِلَهَةً حَسِبَهَا دَمَارًا لِصِنَاعَتِهِ. وَإِهَانَةً لِأَرْطَامِيسِ الْإِلَهَةِ الْعَظِيمَةِ فِي نَظَرِهِ. لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ قَوْلَ بُولُسِ سَيَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. وَأَصْبَحَ بَلَا عُدْرٍ لِصَلَالِهِ. "إِنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلَ كُلِّ الشَّرُورِ. الَّذِي إِذْ ابْتِغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ. وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ".^٥

لَيْتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِكَ الْمُتَفَاضِلَةِ الَّتِي أَنْقَذْتَنِي مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ. وَنَقَلْتَنِي إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِكَ. حَاجَتِي إِلَى قُوَّةٍ مِنْ لَدُنِكَ تَعِينَنِي لِأَشْهَدَ لِعَمَلِ نِعْمَتِكَ الْعَجِيبِ. يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ. أَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ. وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ. وَمَنْ يَبْرَحُ يَفْتَحُ لَهُ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ. مُنْكَرًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرَجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر أعمال الرسل ٩: ١-٢ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٣-١٥

^٢ سفر أعمال الرسل ٢٢: ١-١٠

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ١٠

^٤ إنجيل يوحنا ٣: ١٩-٢٠ ، سفر أعمال الرسل ١٩: ٢٣-٤١

^٥ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٠